

الفكر التداولي بين التيارات اللسانية الغربية والعلوم العربية المدرسية
The pragmatic thought between Western linguistic fields and Arabic
school sciences.

د.الحاج براهيمى *

Dr.Elhadj brahimi

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)

Ziane Achour University Djelfa (Alger)

brahimi.elhadj@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/09/02

تاريخ القبول: 2023/05/13

تاريخ الإرسال: 2023/02/04

مَدَحُجْرُ الْبَحْثِ

تناولت المقالة موضوعا يتعلق بأحدث التيارات اللسانية، ألا وهو التيار التداولي، عبر قسمين رئيسيين، تحدث الأول عن المفاهيم الأساسية للتداولية وأهم مقولاتها (الأفعال الكلامية، قواعد التخاطب والحجاج)، وحاول القسم الثاني أن يكون مقارنا جليا للمنفعة المنهجية والإجرائية، فنضمن البحث في موضع التيار التداولي ضمن التيارات اللسانية الغربية، وقد رصد البحث مجموعة غير هينة من الفروقات بين هذا التيار والتيارات الأخرى، كما حاول استثمار الإجراءات التداولية لتجاوز حدود التحليل التقليدي في العلوم العربية - المنتهجة مدرسيا- إلى أفق أوسع عبر استحضار السياق بعده جسرا يوصل إلى قصد المتكلم بدل التوقف عند حدود معنى الجملة.

الكلمات المفتاح: التداولية، الأفعال الكلامية، قواعد التخاطب، البنوية، التوليدية، التصد.

Abstract :

This study deals with the latest updates in the field of pragmatics, mainly through two parts. First, it tackles the main concepts of pragmatics that are based on speech acts and conversation's rules and argumentation. The second part is more comparative on a methodological and procedural basis. Thus, it studies the position of pragmatics within the Western linguistic modern fields. It also tries to spot many aspects that differentiate pragmatics from the rest of linguistic fields. This study attempts to use procedural pragmatics in order to surpass the

* د.الحاج براهيمى: brahimi.elhadj@gmail.com

limitations set by the traditional analysis in Arab studies and replace it with a more contextual basis, in order to grasp the intention of the speaker instead of merely focusing on the meaning of the sentence itself.

Keywords: Pragmatics, Speech acts, conversation's rules, Structuralism, Generative, Intention.



مقدمة:

أحدث ظهور الأبحاث اللسانية التداولية نقلة نوعية على صعيد البحث اللغوي، فأضحت مناط اهتمام كثير من الباحثين في ساحة الدرس اللغوي، واتخذت لنفسها موقعا في الأبحاث اللسانية بعد أن كانت تعد سلة لمهمة اللسانيات، ولا غرو في ذلك، إذ إن التداولية غطت جوانب أساسية غفلت عنها النظريات اللسانية غير التداولية، واستدركت العجز المكتشف فيها، وسدت الثغرات التي حيرتها أو أهملتها، في محاور حيوية ك(الكلام، وسياق الحال وملابسات الخطاب...إلخ) وأدرجت ذلك كله ضمن وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها.

وإذا كان الباحثون قد تلقوا هذه النظرية بالعناية والاهتمام، فما هي أهم مقولاتها؟ وما هي العلاقة التي تربط أنساقها التي تبدو للوهلة الأولى مفككة لا يجمعها جامع، ولا يربطها جسر واضح؟ وما هو موضعها ضمن التيارات اللسانية في البيئة الغربية؟ وما الذي يمكن أن تمدنا به خاصة مع من يرى توفر العلوم العربية على خاصتي الكفاءة والاكتفاء؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال الأسطر القادمة.

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، سنقسم البحث إلى قسمين، يضم القسم الأول أهم مقولات التداولية، بداية من تعريفها ونشأتها وانتهاء بأهم دوائرها، إذا لا يعقل أن نعرف موضع الشيء دون الحديث عن ماهيته، ويهتم القسم الثاني بالإجابة عن الشطر الثاني من الأسئلة والمتعلق بموضع التداولية في البيئة الغربية من خلال الحديث عن التيارات اللسانية الأخرى، وفي البيئة العربية من خلال استتار الأدوات المنهجية التي يمكن أن تمدنا بها هذه النظرية في العملية التحليلية مقارنة وتأصيلا أو تأسيسا.

القسم الأول: ماهية التداولية وأهم دوائر اهتماماتها.

1-I- مفهوم التداولية:

وهو المصطلح العربي المقابل للمصطلح الإنجليزي Pragmatics أو الفرنسي Pragmatique ، والذي كان الفضل في وضعه للأستاذ طه عبد الرحمان سنة 1970م، وقد حضي بالإجماع والتداول.

ورغم أن التداولية لم تعرف بتعريف واحد، وأنها اصطلاح مدعاة دائماً للالتباس¹، إلا أننا يمكن أن نعتمد تعريف ماري ديلير Marie diller وفرانسوا ريكاناتي François Récanati وهو أن "التداولية هي استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطائية"²

"وإذا أردنا أن نحلل هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا الحد فإننا نسجل النقاط التالية:

- التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال.

- تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الإنجازية التي تحققها العبارة اللغوية.

- التداولية بحث في الدلالات التي تقيدها اللغة في الاستعمال"³

I-2- نشأة التداولية: يرد كثير من الباحثين التداولية إلى السيميائية مع شارل سندرس بيرس وشارل موريس، حيث ميز هذا الأخير سنة 1938 في مقال كتبه في موسوعة علمية بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي⁴: علم التركيب، وبالإجمال النحو، الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات، وعلم الدلالة، والذي يعنى بدراسة علاقات العلامات مع مراجعها في الواقع، وأخيراً التداولية والتي تعنى بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها. ومع ذلك ظلت التداولية كلمة لا تغطي أي بحث فعلي.

ويمكن إرجاع نشأة التداولية إلى فلسفة اللغة العادية مع لودفيق فتنغشتاين، وما يمكن أن نطلق عليه مصطلح التأسيس العام، أما التأسيس الخاص فهو تأسيس جون لانشو أوستين سنة 1955، عندما ألقى محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج "محاضرات وليام جايمس" وكانت محاضراته عن أول مفهوم تداولي هو نظرية الأفعال الكلامية.

I-3- دوائر التداولية: من الإشكالات الأساسية التي تواجه دارس التداولية عدم رؤية الاتساق الذي يربط مقولات التداولية، فيبدو له من الوهلة الأولى أن حقول التداولية حقول مبعثرة لا رابط بينها، ولكن المتعمق فيها سيجد ذلك المحور الذي يربط دوائر التداولية بعضها ببعض، ولقد شملت الأبحاث التداولية عدة مقولات تعد من اهتماماتها، من ذلك: نظرية الأفعال الكلامية، قواعد التخاطب، نظريات الحجاج، السياق، نظرية الملاءمة، الإضرارات التداولية. ويمكننا الحديث عن ثلاث دوائر أساسية هي: دائرة الإنجاز (مثلة في نظرية الأفعال الكلامية)، ودائرة التخاطب (مثلة في قواعد التخاطب)، ودائرة الاستدلال (مثلة في نظريات الحجاج). وقبل الحديث عن العلاقات التي تحكم هذه الدوائر، يمكن التعرّج على هذه المفاهيم بشكل مختصر.

I-3-1- الفعل الكلامي: للوقوف على تعريف الفعل الكلامي لا بأس أن نقف على وجهين لذلك، الأول

متعلق بالمصطلح، والثاني متعلق بالمفهوم.

أ- على مستوى المصطلح: وهو المصطلح المقابل للمصطلح الإنجليزي Speech Act وللمصطلح الفرنسي l'acte de langage، وقد عرفت ساحة الإنتاج العربي مصطلحات أخرى لهذا المفهوم، مثل: الفعل اللغوي⁵ (الذي استعمله طه عبد الرحمان)، أو العمل اللغوي⁶ (الذي اقترحه سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني مترجمي كتاب التداولية اليوم)، فأى من هذه المصطلحات هو أكثر جدوى في تمثيل هذا المفهوم؟

إذا حللنا المصطلح الأصلي من الناحية الإفرادية سنجد أن مصطلح *speech* الإنجليزي يقارب مصطلح الكلام أو الخطاب في العربية، أما مصطلح *langage* الفرنسي فيوافق مصطلح اللغة في العربية، وهنا بداية الإشكال في ترجمة المصطلح من الإنجليزية للفرنسية.

أما مصطلح *Act* الإنجليزي فمتوافق مع مصطلح *acte* الفرنسي، فما هو المصطلح الذي يوافقها في العربية؟ هل هو العمل أم الفعل؟

يرفض بعض الباحثين إضافة مصطلح (فعل) للكلام، منهم الباحث العياشي أدراوي الذي يتحفظ على نسبة الفعل إلى الكلام⁷ ويمكن سحب هذه الفكرة على مصطلح (اللغة)، وبالتالي يمكننا طرح نفس التساؤل بخصوص مصطلح فعل اللغة، هل للكلام فعل؟ وهل للغة فعل؟ وهنا يكمن الإشكال في نسبة أحدهما إلى الآخر.

بتحليل بسيط للمصطلح الأصلي *Speech Act* يمكننا أن نعرف أن مصطلح *speech* إما هو صفة لـ *act* وبالتالي لا بد أن تستجيب الترجمة لهذه القاعدة بالمحافظة على نسبة صفة المصطلح الأول (*speech*) للمصطلح الثاني (*act*) لا نسبة الإضافة، وبالتالي فإننا نرى أن أنسب ترجمة يمكن اعتمادها لهذه النظرية هي: نظرية الأفعال الكلامية، ليصبح مصطلح (الكلامية) صفة للأفعال.

ب- على مستوى المفهوم: لم تعد وظيفة اللغة وصف العالم كما فهمها الفلاسفة والمفكرون من قبل، بحيث تتصف جملها بالصدق والكذب وحسب، ولم تعد وسيلة اتصال بين المتخاطبين في دورة تواصل كما فهمها الاتصاليون، ولكنها أداة لتغيير العالم، وصناعة أحداثه والتأثير فيه.

إننا بواسطة كلمات معينة، ذات صيغة معينة، في ملابسات معينة، نغير العالم من حولنا، ألا ترى أن الرجل يأتي بسلعته إلى السوق، وبمجرد نطقه لعبارة "بعتك هذا" قد غير العالم من حوله، فلم يعد يملك هذه السلعة، وبالتالي فإن كثيرا من حقوقه تجاهها قد سقطت بهذه الكلمة، فلا يستطيع بعدها أن يتصرف فيها بأن يعيد بيعها مثلا، ولا أن يستبدلها ولا أن ينتفع بها، بعد أن كان يستطيع فعل ذلك كله.

ألا ترى أن الرجل إذا تلفظ بكلمتين اثنتين غير هما العالم حوله تغييرا كبيرا، فإذا قال الرجل لزوجته "أنت طالق" فقد أسس لواقع جديد، لتصبح هذه المرأة أجنبية بالنسبة له، وبعد أن كانت هذه الأسرة مجتمعة في كنف بيت واحد وجب الانفصال بعد النطق بهذه العبارة، وأصبح الأولاد شبه مشردين أو يتامى، ولنتصور الواقع الجديد لهذه الأسرة بعد هذه الكلمة، لا نريد أن نشير هنا إلى البعد الاجتماعي لهذه الحالة، بقدر ما نريد أن نبين ما تفعله الكلمات في واقعنا.

ويمكن أن نتصور مثلا ثالثا، ينتمي إلى البعد المؤسساتي القانوني، وهو الكلمات التي ينطقها القاضي في جلسة الحكم، سيغير بها واقع المتهم جذريا، وهكذا بالنسبة للتعيينات الإدارية والإقالات والاستقالات وغيرها، أما إذا تناولنا أعلى السلم الإداري وتحديثنا عن قرارات رئيس الدولة كإعلان الحرب مثلا فإن التغيير بلا شك سيكون محولا.. ببضع كلمات.

هذا هو الفعل الذي تحدثه الكلمات في واقعنا، من مستوى الشخص البسيط في بعده الفردي والاجتماعي إلى مستوى الهيئات في بعدها المؤسساتي والقانوني.

إن الأمثلة الآتية الذكر التي ضربناها لتبيين حجم التغيير الذي يمكن للكلمات أن تحدثه من حولنا هي أمثلة (متطرفة) قليلا، إذ إن نظرية الأفعال الكلامية تذهب أبعد من ذلك في فهم الأفعال التي تحدثها الكلمات، فأصدار الأوامر فعل، وإطلاق الوعود فعل، والتعزية والشكر والتهنئة أفعال كذلك، بل إن الإخبار في حد ذاته فعل، حتى وإن تبدى للوهلة الأولى أنه مجرد إخبار لا ينشئ فعلا شأن الأفعال الإنشائية التي بطابعها تنشئ فعلا معينا.

ولم نقف على تعريف واضح في كتابات أوستين أو سيرل، ولكننا من خلال استقراء المفهوم في كتبها يمكن تعريف الفعل الكلامي بأنه (الفعل المنشأ عن طريق القول المتضمن قوة إنجازية من قبل متكلم يتمتع بصلاحيات معينة، ومن أمثلته الأمر والوعد والإخبار والاستفهام والتعزية والتهنئة والإقالة والاستقالة والتعيين وغيرها من الأفعال الفردية أو المؤسساتية ذات الطابع الاجتماعي أو الإداري أو القانوني أو التشريعي).⁸

I-3-2- قواعد التخاطب: إن الهدف الأسمى لقواعد التخاطب هو "نجاح العملية التواصلية، أو الرفع من القوة الإنجازية للفعل الكلامي، .. ويشير الدرس التداولي الحديث إلى أربعة اتجاهات أساسية عنيت بهذه القواعد، وهي اتجاه مبادئ التعاون لغرابيس، مبادئ التأدب لروين لأكوف، مبادئ التواجه [الوجه] لبراون وليفنسون، مبادئ التأدب الأقصى للبتش"⁹

I-3-2-1 مبدأ التعاون: وهو ما جاء ضمن ما يسمى بـ "الاستلزام الحواري" أو نظرية المحادثة لغرابيس 1975، وينهض مبدأ التعاون على أربع مسلمات Maximes¹⁰

مسلمة الكم Quantity: وتخص قدر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به أثناء المحادثة، وتتفرع إلى مقولتين: أ- جعل مشاركتك تقيّد القدر المطلوب من الإخبار، ب- لا تجعل مشاركتك تقيّد أكثر مما هو مطلوب.

مسلمة الكيف Quality: ونصها: أ- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ب- لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

مسلمة الملاءمة Relation: وهي عبارة عن قاعدة واحدة: لتكن مشاركتك ملائمة.

مسلمة الطريقة Manner: والتي تنص على الوضوح في الكلام وتتفرع إلى أربع قواعد: أ- ابتعد عن الغموض في العبارة، ب- ابتعد عن اللبس، ج- تحرر الإيجاز (تفاد الإسهاب غير الضروري)، د- تحرر الترتيب.

وتحصل ظاهرة الاستلزام التخاطبي إذا تم خرم إحدى القواعد الأربع السابقة.

ورغم أن مبدأ التعاون قد لقي كثيرا من القبول، وفتح بابا واسعا في الدراسات التداولية، إلا أنه تعرض للنقد، ومن الذين انتقدوه من الباحثين العرب، طه عبد الرحمان، الذي يرى أن هذا المبدأ "والقواعد المتولدة عنه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من التخاطب، أما الجانب التهذيبي منه فقد أسقط اعتباره إسقاطا"¹¹، ولهذا جاءت مبادئ أخرى لتغطي هذا النقص فيه.

I-3-2-2-2-مبدأ التأدب : وأول من تحدث عنه من الغربيين الباحثة الفرنسية روبين لأكوف، في مقالها "منطق التأدب"، وصاغت هذا المبدأ كما يلي : لتكن مؤدبا.

ويقضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم والمخاطب، في تعاونها على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ"¹² وفرعت لأكوف عن هذا المبدأ ثلاث قواعد فرعية:1-قاعدة التعفف (التأدب بالأداب العامة) ومقتضاها "لا تفرض نفسك على المخاطب"، 2-قاعدة التخيير، ونصها : " لتجعل المخاطب يختار قراراته بنفسه"، 3- قاعدة التودد: ونصها : "لتظهر الود للمخاطب".

I-3-2-3-مبدأ الوجه¹³ : وظهر هذا المبدأ عند كل من اللسانيين البريطانيين: براون وليفنسون، في دراستهما المشتركة "الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب"، وينطلق هذا المبدأ من كون الوجه هو رمز للكرامة التي يتمتع بها الإنسان بصفة عامة، ونص المبدأ: لتصن وجه غيرك، ويقوم هذا المبدأ على مفهومين أساسيين:

1- **مفهوم الوجه:** فيجب على المتكلم أن يصون قيمة وجه المخاطب، لأن الوجه هو عنوان الذات والكرامة التي يدعيها المرء لنفسه، ويتفرع هذا المفهوم إلى فرعين:

أ. **الوجه النافع:** يرغب المتكلم ألا يعترض الآخرون على أقواله وأفعاله.

ب. **الوجه الجالب:** يرغب كل متكلم أن تكون إرادته محترمة ممثلة في أقواله.

2- **مفهوم التهديد:** يرى هذان اللسانيان أن في الأفعال الكلامية التي يفعلها المتكلم ما يهدد الوجه،

وخصوصا التي تعوق بطبيعتها إرادة المستعملين، أو المتكلمين، (ولاسيما الأفعال الكلامية من قبيل الأوامر تهديد الوجه النافع، وأخرى (السخرية) تهديد الوجه الجالب)

وتقاديا لهذه التهديدات وضعا مجموعة من الاستراتيجيات التخاطبية والتي تهدف إلى تخفيف آثار

التهديد، وهي: الاستراتيجية الصريحة، استراتيجيات التأدب الإيجابي، استراتيجيات التأدب السلبي،

استراتيجيات التلميح، استراتيجيات الصمت.

I-3-2-3-4-مبدأ التأدب الأقصى¹⁴ : اقترح ليتش مبدأ التأدب الأقصى انطلاقا من تقده لمبدأ التعاون، الذي

يكن قصوره في انحسار دوره على تنظيم التواصل، والوقوف على المستوى التبليغي للخطاب، مغفلا مبادئ التداول الاجتماعية والنفسية، وإذا كان الوجه عند براون وليفنسون هو رمز التهديد في الخطاب، فإن الذات كلها تصبح عند ليتش المحور الذي يتوجه صوبه المخاطب.

صنف ليتش الأفعال الكلامية في درجات سلمية، وفقا لوظيفة كل صنف، وعلاقته بهدف الخطاب

الاجتماعي الأساس، فاستقرت الأفعال في أربع درجات: وهي أفعال:

1- **التنافس Competitive:** وهي التي يغلب فيها الهدف الإنجازي الهدف الاجتماعي، مثل الأمر والسؤال.

2- **المناسبات Convivial:** وهي التي يتطابق فيها الهدفان الإنجازي والاجتماعي، مثل التهنتنة، والدعوة،

والشكر.

3- **التعاون Collaborative**: وهي التي لا تتأثر أهدافها الخطائية بالأهداف الاجتماعية، مثل التبليغ، والتعليمات والتصريحات.

4- **التعارض Conflictive**: وهي التي تتعارض أهدافها مع الأهداف الاجتماعية، مثل التهديد والالتمام. وبالتالي فقد أعاد ليتش تصنيف الأفعال الكلامية عند سيرل، فأدرجها ضمن هذه الأصناف، حسب الوظيفة الإنجازية، بدلا من معايير سيرل الكثيرة، وفرق بين نوعين من أنواع التأدب، وهما التأدب النسبي، والتأدب الأقصى، ثم ركز على التأدب الأقصى في دراسته، ففننه في قواعد ذات صور ثنائية، فنتج عن ذلك ست قواعد هي:

- 1- **قاعدة اللباقة**: وصورتها هما: أ- قتل من تكلفة الغير، ب- أكثر من رخ الغير.
- 2- **قاعدة السخاء**: وصورتها هما: أ- قتل رخ الذات، ب- أكثر خسارة الذات.
- 3- **قاعدة الاستحسان**: وصورتها هما: أ- قتل من ذم الغير، ب- أكثر من مدح الغير.
- 4- **قاعدة التواضع**: وصورتها هما: أ- قتل من مدح الذات، ب- أكثر من ذم الذات.
- 5- **قاعدة الموافقة**: وصورتها هما: أ- قتل الاختلاف بين الذات وبين الغير، ب- أكثر من موافقة الذات مع الغير.

6- **قاعدة التجانس**: وصورتها هما: أ- قتل كراهية الذات للغير، ب- أكثر انسجام الذات مع الغير. وقد صاغ قواعد بناء على مقتضى قانون الرخ والخسارة، بمفهوم الاقتصاد، انطلاقا من رخ الغير مقابل خسارة الذات، فجعل قاعدة اللباقة هي القاعدة الرئيسية.

I-2-3-5- **مبدأ التصديق**: وهو مبدأ تداولي مهم متعلق بدائرة التخاطب، أتى به طه عبد الرحمان في كتابه اللسان والميزان، حيث يصيغ هذا المبدأ بالصياغة التالية: "لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه ففلك"¹⁵، ويفرع طه عبد الرحمان عن هذا المبدأ قواعد للتواصل (وهي المختصة بالجانب التبليغي) وقواعد للتعامل (وهي المختصة بالجانب التهذيبي) كما يلي¹⁶:

قواعد التواصل المنفرعة عن مبدأ التصديق: ويستشفها طه عبد الرحمان من كتاب (أدب الدنيا والدين) للماوردي، ويلخصها فيما يلي: 1- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر (وتقوم هذه القاعدة مقام مبدأ التعاون)، 2- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته (قاعدة العلاقة أو الملاءمة)، 3- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته (قاعدة الكم)، 4- يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم (تقوم مقام قاعدة الجهة)، ويثبت طه عبد الرحمان أن هذه القواعد جامعة لمبدأ التعاون والقواعد المنبثقة عنه، إلا قاعدة واحدة هي قاعدة الصدق، ويبين بعد حين سبب استثنائها، ذلك أن القاعدة الأولى تقوم مقام مبدأ التعاون، والقاعدة الثانية تقوم مقام قاعدة العلاقة، والقاعدة الثالثة تقوم مقام قاعدة الكم، كما أن القاعدة الرابعة تقوم مقام قاعدة الجهة.

قواعد التعامل المتفرعة على مبدأ التصديق: يقرر طه عبد الرحمان أن هذه القواعد التهذيبية تتضمن ما تقرر في قواعد التأدب وقواعد التواضع، ويجملها بعد استقراءه للتراث الإسلامي والعربي في ثلاث¹⁷ :
قاعدة القصد: لتتفقد قصدك في كل قول تلقى به إلى الغير، ويترتب على هذه القاعدة أمران أساسيان: وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة، وإمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول.
قاعدة الصدق: لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك، ويكون الصدق في مستويات ثلاثة: الصدق في الخبر، والصدق في العمل، ومطابقة القول للفعل.

والذي هذا بالموارد استثناء قاعدة الصدق من القواعد التواصلية، هو شمولها للجوانب الثلاثة: القول والعمل والصلة بينهما، إذ إنها تتعلق بالجانب التهذيبي من مبدأ التصديق الإسلامي، على عكس المبادئ الأخرى التي تدرجه في الجانب التبليغي مثل ما هو الحال في قاعدة الكيف المتفرعة عن مبدأ التعاون الغرايبي.
قاعدة الإخلاص: لتكن في توددك للغير متجردا من أغراضك، وفي هذه القاعدة دفع للمتكلم أن يقدم حقوق المخاطب على حقوقه دون أن يكون في هذا التقديم حط من مكانته، ولا إضاعة لحقوقه.
I-3-3-3- الحجاج: لا يمكن أن نتكلم عن المعنى الاصطلاحي لأي لفظ دون المرور على المعنى اللغوي الذي يعتبر قاعدة الارتكاز والركن الأصيل في تحديد وتوضيح المعنى الاصطلاحي، فكان إذا لابد من بيان المعنى اللغوي وعطف المعنى الاصطلاحي عليه.

I-3-3-1- المفهوم اللغوي: جاء في لسان العرب في مادة "ح ج ج" : " ...يقال حاججته أحاجه حجاجاً ومُحاجَّةً حتى حاججته أي غلبته بالحجج التي أدلَّت بها ..والحجَّة البرهان " ¹⁸ ولا يخفى على أي قارئ مماهة ابن منظور بين الجدل والبرهان والحجاج، وقد ركز ابن منظور على الفعل حاج وعلى كلمة الحججة وجعل الأخيرة هي البرهان، أما الشريف الجرجاني فعرف الحججة بقوله: " الحججة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحججة والدليل واحد" ¹⁹ ونلاحظ دمج الجرجاني الحججة في الدليل، رغم أن الحججة تقوم بالدليل، وعرف الكفوي الحججة فقال: "الحججة بالضم البرهان.. وما ثبت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يسمى بينة ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى حجة" ²⁰ فأعطى الكفوي صفة الحججة لما يغلب به لا الجملة ما يثبت به الدعوى. ومن خلال هذه التعريفات اللغوية نجد مفاهيم الحجاج مطابقة أحيانا للجدل والبرهان، وأحيانا لما تقوم به الدعوى.

I-3-3-2- المفهوم الاصطلاحي: يعرفه دومينيك مانغينو Dominique Maingueneau بأنه: "آلية موجهة إلى جعل بعض النتائج مقبولة من قبل جمهور معين في ظرف معين" ²¹

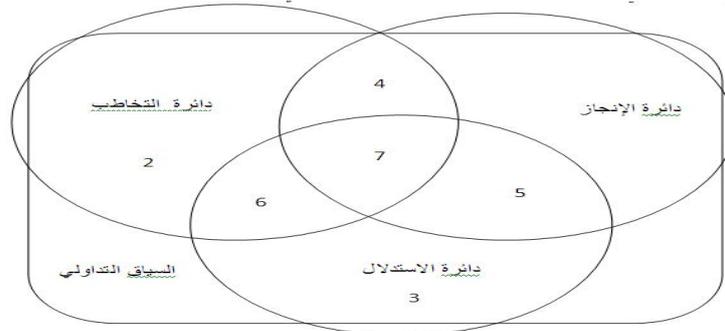
وهناك تعريف آخر يحيل على مفهوم الخطاب، وبالتالي يهتم بقطبي العملية التخاطبية، إذ "الخطاب الحجاجي هو خطاب موجه، وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعد حجاجي" ²² فمجرد ربط الحجاج بالخطاب نفترض مرسلا ومتلقيا، وهدف الحجاج هنا وغرضه التأثير في المتلقي عن طريق الإقناع أو الإفهام، غير أن طه عبد الرحمان لا يقر بفصل الحجاج عن الخطاب، فليس هناك خطاب حجاجي وآخر غير

حجاجي، إذ يقر بقاعدة مفادها أن: "لا خطاب بدون حجاج"²³ وبالتالي فإن الخطاب عنده يقوم على العلاقة التخاطبية والعلاقة الاستدلالية معا، والعلاقة الثانية هي علاقة أصلية يتفرع عليها سواها ولا تتفرع على سواها، أي أنه إذا تضمن الخطاب علاقة تخاطبية يجب ردها إلى العلاقة الاستدلالية.. "والمنطوق الذي يستحق أن يكون خطابا هو الذي يقوم بتمام المقننات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى بالحجاج، إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"²⁴

ويركز برلمان وتتيكاه في تعريفهما للحجاج على تقنيات الحجاج وآلياته، فهو موضوع الحجاج عندهما هو " درس تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في حالة ذلك التسليم"²⁵

ولقد عرفت نهضة الحجاج أربعة تصورات كبيرة على الأقل، تصور قريب من المنطق بزيادة ستيفان تولين، والذي يعتبر أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق، وتصور في منزلة بين الجدل والخطابة بزيادة شامير بيرلمان ولوسي أولبرشتس تتيكا، والثالث يمثل الحجاج اللغوي بزيادة اللسانين أزوالد ديكر ووجون-كلود أنسكومبر، والذي يعد تيارا تداوليا بامتياز، ويطلق على نظريتهما التداولية المدججة، أي دراسة الجزء التداولي المدمج في الدلالة، وتصور رابع بزيادة ماير وتدعى نظريته بنظرية المساءلة.

العلاقة بين دوائر التداولية: يمكن تمثيل العلاقة التي تربط بين هذه الدوائر في المخطط التالي:



الشكل 01: دوائر التداولية

شرح المخطط:

تمثل هذه الدوائر بعض اهتمامات التداولية، وتتقاطع فيما بينها لتؤكد حقيقة الترابط الشديد بين بعضها البعض، إذ إن كل عنصر ضمن دائرة يؤثر ويتأثر بعنصر آخر من دائرة أخرى، وأما الدراسة المنفصلة لكل عنصر، فهي للضرورة الأكاديمية.

تتقاطع هذه الدوائر في مناطق تضيق وتوسع حسب طبيعة الخطاب، ومجال الدراسة، فإذا اعتبرنا التداولية دولة ذات جزر، فإن هذه الدوائر هي الجزر المشكلة لهذه الدولة، وتعد مناطق التداخل بينها جسور عبور بينها، فالأفعال الكلامية غير المباشرة مثلا تعد جسر عبور بين دائرة الإنجاز ممثلة في نظرية الأفعال

الكلامية المباشرة ودائرة التخاطب ممثلة في قواعد التخاطب، ذلك أن السبب الرئيس في اللجوء إلى الأفعال الكلامية غير المباشرة هو التأدب²⁶، بالإضافة إلى أن منطلق جون سيرل في دراسة هذه الظاهرة اعتمد على أساسين أحدهما مبدأ التعاون لدى غرايس.

ويمكن تقسيم المخطط السابق إلى سبع مناطق كالتالي:

المنطقة الأولى: وهي منطقة دراسة الخطاب من وجهة نظر إنجازية بحتة، من خلال نظرية الأفعال الكلامية المباشرة.

المنطقة الثانية: وهي منطقة دراسة الخطاب من وجهة نظر تخاطبية، من خلال قواعد التخاطب.

المنطقة الثالثة: وهي منطقة دراسة الخطاب من وجهة نظر استدلالية، من خلال نظريات الحجاج.

المنطقة الرابعة: وهي منطقة تداخل بين دائرتي الإنجاز والتخاطب، ويمكن اعتبار ظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة جسر عبور بين هاتين الدائرتين.

المنطقة الخامسة: وهي منطقة تداخل بين دائرتي الإنجاز والاستدلال، ويمكن أن تحمل مقولات عدة، من بينها على سبيل التمثيل القسم الثالث من أقسام الفعل الكلامي عند أوستين، وهو الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول **Perlocutionary Act** وهو التسبب في حدوث آثار على المخاطب وأفكاره أو تصرفاته، ومن أمثلتها الإقناع والتثبيط، وقد تعتمد إحداث هذه الآثار وقد لا تعتمد.

المنطقة السادسة: وهي منطقة تداخل بين دائرتي التخاطب والاستدلال، ويمكن من خلال هذه المنطقة دراسة تأثير الأساليب التأديبية على قناعات المتلقي، أو دراسة الحدود التأديبية التي لا يجب تجاوزها عند إرادة التأثير على المتلقي حجاجيا.

المنطقة السابعة: وهي منطقة تتكاثف فيها مقولات التداولية، ويمكن من خلالها دراسة الدوائر الثلاثة مجتمعة، كل يؤثر في الآخر، لينتج الخطاب من قبل المتكلم، ويتلقى لدى المستمع، وقد استحضرت فيه كل هذه المقولات.

ويحيط بكل ظروف هذه العملية مقولة مهمة من مقولات التداولية، وهي مقولة السياق، الذي يعد محورا فاعلا في التحليل التداولي، ونظرا لدوره المهم أسمى بعضهم التداولية بالسياقية أو المقامية كما يقول ماكس بيليك²⁷.

القسم الثاني: موضع التداولية بين التيارات اللسانية الغربية والعلوم العربية التعليمية

حتى نفهم البيئة التي أسست فيها اللسانيات التداولية لابد من معرفة تمفصليين مهمين للغاية، -بعد الاطلاع على التعريف والنشأة- الأول متعلق بالبيئة اللسانية التي نشأت فيها التداولية ضمن البيئة الغربية، ويتصل الثاني بالتأثير المعرفي والمنهجي الذي يمكن أن تحدثه التداولية بين العلوم اللغوية داخل البيئة العربية.

II-1- البيئة اللسانية الغربية

يمكن تقسيم التيارات اللسانية في الساحة العلمية تاريخيا وجودا إلى ثلاثة تيارات أساسية. **II-1-1- التيار البنوي الشكلي**: وقد أحدث ثورة منهجية هائلة في مجال البحث اللساني انطلاقا من أعمال دوسوسير، الذي ثار على المنهج التاريخي والمنهج المقارن الذين سيطرا على منهجية البحث العلمي، حتى صارت سمة العلمية مرتبطة أساسا بالبحث التاريخي، "وقد ألح إلى ذلك اللغوي الدانماركي أوتو جيسبرسن Otto Jespersen في قوله: إن الصفة المميزة لعلم اللغة science of language كما يفهم الآن هي السمة التاريخية"²⁸، و"يمثل الاتجاه الشكلي في دراسة اللغة في تلك الدراسات التي تعنى بدراسة النظام اللغوي معزولا عن سياق التواصل الاجتماعي إذ تنجز هذه الدراسات في مستويات اللغة المعروفة، مثل المستوى الصوتي بشقيه (الفونوتيكي) و (الفونولوجي) وفي المستوى التركيبي والدلالي، ويوسم هذا الاتجاه باللسانيات الصارمة"²⁹.

وأهم ما يمكن أن يوصف هذا الاتجاه هو البنية لاعتقادها على دراسة البنية أو النظام، وخصاها فيها، وبالتالي اختارت لنفسها موضوعا ينسجم مع توجهها وهو اللسان، بعده نظاما مجردا موجودا بالقوة في الذهن، وما دام نظاما فهو اجتماعي، يمكن أن تضبطه قواعد ثابتة، وهذا من أخص خصائصها ومهامها، إذ "تسعى اللسانيات إلى بناء نظرية لسانية لها صفة العموم، إذ يمكن على أساسها دراسة جميع اللغات الإنسانية ووصفها"³⁰ ولهذا كان شعارها كما يقول دو سوسير دائما: "تحديد نفسها والاعتراف بنفسها"³¹ أو كما حدد مجاله في قوله "دراسة اللسان منه وإليه"³².

ولكن الثورة التي أحدثتها اللسانيات الحديثة لم تكن فقط على مستوى الموضوع، بل كان المنهج هو العامل المهم في تميزها عما سبقها من نظريات، فقد تبنت المنهج الوصفي خلافا لما كان سائدا ذاك الوقت من مناهج أخرى، واثارت على المنهج المقارن، كما تسلمت من المنهج التاريخي الذي عرف ذروته في فكر القرن التاسع عشر، وكان لتبني المنهج الوصفي أثر واضح في طريقة الدراسة اللسانية، من انغلاق على النص وإقصاء لكل ما هو خارج عنه، وانعكس ذلك على المدارس التي نشأت بناء على ذلك، كما انعكس على النظريات النقدية التي تبنت مقولاتها، وظهرت مصطلحات دالة على ذلك، مثل مصطلح المحيثة، ومصطلح النسق الذي يشير إلى البعد الداخلي في الدراسة وإقصاء كل ما هو خارج عن النص، في مقابل البعد الخارجي، حتى وصل الأمر إلى مصطلح (موت المؤلف)، وهو عنوان مقالة كتبها الناقد الفرنسي رونال بارت Roland Barthes (1915-1980) سنة 1967 والتي هاجم فيها طرائق النقد الأدبي التقليدي، خاصة ما تعلق منها بتضمين المعنى والسيرة الذاتية.

ولم يكن بارت خارج السرب في ذلك، بل كان يغرد بما تشدد به اللسانيات الحديثة، فلقد "تعطل الاهتمام بالدلالة مع ظهور دوسوسير، إذ تغيرت وجهة النظر من التاريخية إلى الآنية، وانحصرت الدراسة في اللسان من حيث هو أشكال يربط بينها نظام من القيم، فتركزت الدراسات على محاصرة العلامة بمقتضى ما ليس فيها، مقارنة بما هو في غيرها، فلقد استلزم التصور الوضعي المحض الحقيقة العلمية إقصاء المعنى من

الدراسات اللسانية في مستوى المبادئ العامة على الأقل، لأن المعنى ظاهرة متشعبة فيها جانب نفسي هو ما يدور في ذهن الإنسان قبل الوسم اللفظي، وجانب فلسفي منطقي هو ما يربط بين اللغة والواقع المعيش، وجانب لغوي لكنه نسيج وحده، فلتن كان مجالي الفونولوجيا والتركيب نظامين مغلقين فإن المعنى مجال مفتوح غير نظامي³³

II-1-2- التيار التوليدي

هناك من يضع هذا التيار مع التيار الأول (البنوي) غير أن المتأمل في خصائصه ومقولاته يجد بعض التميز مع سابقه، مما يؤهله أن يكون تيارا مستقلا بذاته، وزعيم هذا التيار هو اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) (1928)، ورغم أن بعض الأفكار التي أتى بها هذا الأخير لها جذور في أعمال من سبقه، إلا أن أفكار تشومسكي وتابعيه صنعت منعطفًا بارزا في مسيرة اللسانيات، حتى أصبح الاعتقاد السائد بين معظم اللسانيين في النصف الثاني من القرن العشرين هو "أن جودة نظرية نحوية إنما تقاس بمدى التزامها بالأصول التي ابتدعتها التوليديون"³⁴

لم يقف تشومسكي على الوصف كما وقف البنويون قبله، بل تجاوز ذلك إلى التفسير، وكان يصير "على أهمية الكفاية التفسيرية، بل إنه يرى أنها أهمها على الإطلاق"³⁵، ولهذه الفكرة أثر بالغ في منهجية العمل، وانعكاس محمول على النتائج المترتبة عليه، ذلك أن التوليديين "كان لهم عناية خاصة بفكرة العموميات Univerls فلم يكتفوا بالملاحظة أو الوصف، بل رأوا أنه من الضروري إذا ما رمنا فكرة الوصول إلى صوغ قواعد عالمية تنطبق على جميع اللغات أن نعوض في المبادئ، والأسس المفسرة للظواهر الخارجية"³⁶

وإذا كانت المدرسة البنوية اختارت اللسان موضوعا لها بعده نظاما مجردا ثابتا جاعيا يمكن التحكم فيه، هروبا من الكلام الفردي غير الثابت، فإن المدرسة التوليديّة كادت أن تلامس المدرسة التداولية في اهتمامها بالمتكلم، وعدم جودها عند موضوع اللسان المجرد، ولكنها وقفت في منتصف الطريق باختراع مفهوم جديد أطلق عليه التوليديون مصطلح المتكلم/المستمع المثالي Ideal speaker/hearer "الذي ليس له وجود في الواقع اللغوي، بل يفترضه اللساني اعتمادا على حدسه Intuition وكفايته اللغوية Linguistic competence أي معرفته بقواعد لغة ومعجمها، ولا شك أن هذا المفهوم مفيد للنحو التوليدي الذي يعتمد في تقييده وتمثيله على المنطق والرياضيات ليفضي على اللغة الصبغة العلمية المنضبطة"³⁷، ولكن عدم وجود هذا المتكلم المثالي في الواقع نحا بالنظرية التوليديّة إلى التصنع مما نأى بها عن واقع الاستعمال اللغوي، رغم أن ذلك كان مفيدا للمباحث الحاسوبية فيما بعد، ولا ينكر أي باحث فضل اللسانيات التوليديّة على اللسانيات الحاسوبية.

إن اختراع المدرسة التوليديّة لفكرة المتكلم المثالي كان له سبب فكري متعلق بمجال الدراسة، ذلك أن من أهم أهداف التوليديّة دراسة المناويل الممكنة للجمل أثناء عملية التوليد، وبالتالي دراسة الأنماط الثابتة التي يمكن للجمل أن تأخذها، ومن ثم فإنه ليس من المتوقع الحديث عن المتكلم العادي، بل لابد من الحديث

عن المتكلم المثالي الذي يشبه الآلة في التعامل مع اللغة، وهذه من أهم نقاط القوة التي استفادت منها اللسانيات الحاسوبية فيما بعد.

ورغم الإنجاز العلمي الذي حققته التوليدية إلا أن ذلك لم يمنعها من النقد "كون هذه الدراسات قد وقفت عند حد الجملة، فقد قصرت عن دراسة بعض الظواهر مثل ظاهرة الإحالة وتحديد مرجعها، الإضمار، الروابط الخطائية، وهذا ما برر الالتفات إلى دراسة اللغة في مستوى أكبر من الجملة، وهي دراسة الخطاب إذ يدرس بوصفه بنية كبرى من خلال بيان العلاقة بين وحداته وفهمها شكليا"³⁸

II-3-1- التيار التداولي:

هناك من يسمه بالتيار التواصلي، وأبرز حقل فيه هو اللسانيات التداولية، التي أحدثت ثورة على صعيد البحث اللغوي، وغطت جوانب أساسية غفلت عنها النظريات اللسانية غير التداولية، كالللام، وسياق الحال وملابسات الخطاب،... إلخ.

لقد "اتضح عدم كفاية الدراسات الشكلية سواء أكان ذلك من حيث التركيب أم من حيث الدلالة المنطقية،... وهذا ما دعا الباحثين لتطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي، مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ"³⁹، وبهذا تحررت التداولية من أسر النسق الذي كانت الدراسات الشكلية منطلقة منه إلى دراسة السياق بكل أبعاده، فساعدها هذا الانفكاك في تجاوز الوصف والتفسير إلى التأويل، والذي يظهر جليا في تعريف مورس لها على أنها العلاقة بين العلامة ومؤولها. إن الكفاية التأويلية أصبغت الدراسة التداولية بصيغة البعد الخارجي في مقابل البعد الداخلي الذي تتصف به النظريات المنضوية تحت رداء التيار الشكلي، فلم تقف التداولية عند دراسة القواعد الحاكمة لبنية اللغة، ولا انحسرت لمتابعة أنماط الجمل وكيفيات توليدها، بل وسعت مجال بحثها إلى دراسة أحوال المحادثة، وأعطت للغة صبغة ديناميكية تواصلية بين أطراف خطاب متفاعلين، بعد أن كانت اللغة بنية مجردة ساكنة في التيار الشكلي.

إن العملية التأويلية في التداولية لا تقف عند البنية ولكنها تدخل العوامل الخارجية، وأول هذه العوامل العامل الذي ينبثق عن سؤالها الأول: من يتكلم؟ إنه المتكلم الذي تحتفي به التداولية في كل مراحل العملية التأويلية، وبالتالي فإن التداولية انتقلت من البنية إلى المتكلم، ومن النسق إلى السياق، والنتيجة الحاسمة في هذا الانتقال هو مناقشة التداولية للوصول إلى القصد عوض التوقف عند المعنى وهذا من أهم اهتمامات التداولية. ويمكننا تليخيص الفروقات بين التيارات الثلاث في الجدول أدناه

الوجه	التيار	البنوي	التوليدي	التداولي
الموضوع	اللسان	أنماط الجمل (المتكلم المتغالي)	الكلام (المتفاعل المستعمل)	
الكفاية (المنهج)	الوصف	التفسير	التأويل	
الاهتمام بالمعنى	أهملت المعنى	أهمته ثم أدرجته	انتقلت من الاهتمام بالمعنى إلى الاهتمام بالتصديق	
الحدود	النسق	النسق	السياق	

الجدول 01: أهم الفروقات بين التيارات اللسانية

II-2- التداولية والعلوم العربية المدرسية

السؤال الذي يطرح باستمرار: لماذا ندرس التداولية بينما نملك نحن العرب علوماً جيدة بالدراسة والاكتفاء؟ ثم ما الذي جاء به التداولية حتى يحتفى بها هذا الاحتفاء؟
قبل الإجابة عن هذين السؤالين لابد من الإشارة إلى ملاحظتين مهمتين:

الملاحظة الأولى: لابد أن نفرق بين العلوم العربية وبين ما يدرس أكاديمياً في المدارس والجامعات، فهي مقاييس وليست علوماً، إذ البعد التعليمي للنحو والبلاغة صبغها بصبغة نمطية بعيدة عما يعرف بالنحو والبلاغة (بعدهما علمين عريين قديمين)، ولهذا نأينا بأنفسنا عن صوغ العلوم العربية بالتنميط عبر إضافة صفة المدرسية لها، والذي يفتح كتاب سيوييه أو أي كتاب نحوي قديم سيدرك الهوية السحيقة بين ما كان يعرف بالنحو وما هو متداول اليوم في المدارس والجامعات، وحديثنا هنا عن موضع التداولية بالمقارنة مع ما يدرس في المدارس من نحو وبلاغة وغيرها، أما التراث النحوي والبلاغي والأصولي فهو زاهر بالأدوات التداولية التي بدأ الباحثون في استخراجها، والاحتفاء بها من خلال الدراسات التأصيلية للفكر التداولي في التراث، بل التأسيس لفكر تداولي عربي انطلاقاً من ذلك، بناء على وجود مقولات تداولية في هذا التراث لا تعرفها النظرية اللسانية الغربية.

الملاحظة الثانية: مقارنة الدراسات التداولية بالعلوم العربية (المدرسية) فيه مجازفة كبيرة، ذلك أن الفكر التداولي جاء على نقد من سبقه من تيارات لسانية غربية، وإنزال هذا النقد لمقارنة التداولية بممارسات العلوم العربية لا يصح على الأقل من وجهين:

الوجه الأول: أن الخصائص الاستيمية للعلوم العربية وجذورها الفكرية والفلسفية والأنطولوجية مختلفة اختلافا كبيرا على نظيرتها الغربية.

الوجه الثاني: السكون والمحمود اللذين عرفتهما العلوم العربية التعليمية اليوم (مع عدم إنكار ما يبذل من جهد لإحيائها وبعثها في الجامعات وخارجها)، بل التسطيح الذي شاب كثيرا من الكتابات في هذا المجال في أزمنة الانحطاط، لا يقارن بالديناميكية التي تعرفها الدراسات الغربية اليوم إن على مستوى المنهج أو المضمون، فلا يجوز إذا مقارنة ساكن بمتحرك لأن في ذلك مغالطة زمنية كبيرة. ومع ذلك فإننا نريد أن نرى كيف تدرس اللغة اليوم تعليميا وإجراءيا ومنهجيا من الطرفين. ولنضرب المثال التالي:

— الطالب للأستاذ: الجو بارد.

إذا أردنا أن ندرس هذه الجملة نحويا سنقول إن الجملة جملة اسمية مكونة من مبتدأ مرفوع (الجو) أو مسند إليه، وخبر مرفوع (بارد) أو المسند، وبالتالي فقد أسندنا الخبر (بارد) إلى المبتدأ (الجو)، وسنقيها بلاغيا (خاصة في علم المعاني) على أنها أسلوب خبري.

ولكننا في التداولية لا نقف عند هذا الحد، إذ إننا سنخرج من بنية العبارة إلى ما يحيط بها (وهذا ما تفعله البلاغة الحقيقية باستحضار المقام)، أي أن "نتصور سياقاً لغوياً يمكن بيانه كالاتي: يجلس مجموعة من الطلاب في فصل دراسي مكيف، ويقف المدرس قريبا من زر جهاز التكييف، وتشتد البرودة داخل الفصل، فيبادر أحد الطلاب بالقول: الجو بارد يا أستاذ، فيتوجه الأستاذ إلى زر المكيف ويضغط عليه لإغلاقه"⁴⁰ ورغم أن صيغة الجملة التي أوردتها الطالب صيغة خبرية إلا أن الأستاذ فهم منها الطلب، ولتحليل هذا الفهم لابد من طرح سؤالين مهمين:

السؤال الأول: ما هو الدليل على أن الطالب رغم إيراد جملة ذات صيغة خبرية لم يرد بذلك الإخبار؟

والسؤال الثاني: كيف فهم المدرس أن الطالب يريد أن يطلب منه إغلاق المكيف؟

للإجابة على السؤال الأول لا بد من استحضار الأدلة التالية:

1- المعلومة التي ذكرت في الجملة معلومة مشتركة لدى الجميع، وليست معلومة خاصة، لأنها تتعلق بمعرفة مشتركة في بيئة مشتركة.

2- إن الطالب وهو يقول قوله كان يعلم أن الأستاذ يعلم أن الجو بارد، ولذلك فهو لا يريد الإخبار، إذ الإخبار شرطه إعطاء الفائدة- على حسب ظن المتكلم على الأقل- وهذا غير متوفر في هذا الموقف، إذا هو يريد شيئاً آخر.

أما بالنسبة للسؤال الثاني فإن الإجابة مرهونة بسياق إنتاج الجملة، فالطالب لم يقل مقولته إلا بعد وقوف الأستاذ في نقطة معينة وهي جوار زر جهمز التكيف، كما أن المقام ليس مقام الأمر المباشر لمكانة الأستاذ أمام الطالب، فلا يجوز تأدبا إلقاء أمر مباشر، ولا بد من طريقة غير مباشرة تحيل إلى الطلب المؤدب، ذلك أن "السبب الرئيس لاستعمال الأسلوب غير المباشر في التوجيهيات هو التأدب"⁴¹ وبالتالي نرى أن إدخال العناصر غير اللغوية المتعلقة بالسياق الخارجي تنقلنا من (الإخبار) إلى (الطلب)، وتنقلنا من (المعنى) إلى (القصد) وهذا هو الهدف الرئيس للتداولية.

خاتمة: من خلال ما سبق، يمكننا استخلاص نتيجتين رئيسيتين

- كما أن التداولية نشأت من تلاقي حقول معرفية متعددة، فقد أفرزت شبكة من المفاهيم تمثل كلا منها نسقا معرفيا يبدو للوهلة الأولى منفصلا معرفيا ومنهجيا عن الأنساق الأخرى، إلا أن المتأمل والمتفرد في خلفيات ومآلات كل منها يدرك أن هذه الأنساق متصلة ومرتبطة ببعضها بشكل أو بآخر، خاصة إذا ألقينا برونوس التعريف العام للتداولية الذي يسمها بأنها علم الاستعمال اللغوي، بالإضافة إلى الجسور التي تربط كل دائرة بأخرى، وهذا ما يفسره النموذج التمثيلي المقدم في هذه المقالة.

- إن تأملا بسيطا في موقع التداولية ضمن التيارات اللسانية، وإمكانية تموضعها منهجيا ضمن المناهج التعليمية، يمكن من إدراك الفروقات التي تميزها عن غيرها من المجالات المعرفية، أبرزها الانتقال من دراسة اللسان إلى دراسة الكلام المستعمل المنتج من أطراف متفاعلين في سياق كامل، ومن الكفاية الوصفية إلى التأويلية، ومن النسق إلى السياق، ومن دراسة الجملة إلى دراسة المحادثة، ومن جعل المعنى هدفا إلى استهداف القصد الذي يعد من أخص محام التداولية.

هوامش:

- 1 دومينيك مافينو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص100.
- 2 فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1987، ص8.
- 3 عبد الحليم بن عيسى: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث، الجزائر، العدد1، ماي 2008.

⁴ Mourris C.W: Foundations of theory of signs, in Neurath R.Carnap & Morris (eds), International Encyclopedia of unified science, Chigago, University of Chigago Press, p84.
⁵ طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ط1، ص260.

- 6 جاك موشلار وآن روبول: التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص33
- 7 العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص73.
- 8 الحاج براهيمي: المنحى التداولي عند الأصوليين، الشاطبي أمودجا، أطروحة دكتوراه، 2018، جامعة بسكرة، ص35.
- 9 رحمة شيتز: تداولية النص الشعري، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009، ص137.
- (10) Paul Grice: Studies in the way of words, Harvard University Press, 1st Ed 1991, PP267.
- 11 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص239.
- 12 نفس المرجع، ص240.
- 13 نفس المرجع، ص243.
- 14 الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص109-112.
- 15 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص249.
- 16 نفس المرجع والصفحة.
- 17 نفس المرجع، ص250.
- 18 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط3، 1414 هـ، مادة "ح ج ج".
- 19 الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1983 م، ص82.
- 20 الكفوي، أبو البقاء: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1998، ص406.
- 21 Dominique Maingueneau: Pragmatique pour le Discours Littéraire, Bordas, Paris, 1990, p35.
- 22 الحواس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، مجلة اللغة والأدب، ملتقى علم النص، ع12، 1997، ص330.
- 23 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص213.
- 24 نفس المرجع، ص226.
- 25 عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، المطبعة الرسمية، تونس، دط، دت مجلد XXXIX، ص299.
- 26 Searle.J: Expression and meaning, Cambridge University Press, 1979, P36.
- 27 فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص11.
- 28 محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط4، 2004، ص43.
- 29 الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص7.
- 30 أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق سوريا، ط3، 2008، ص16.

31 De Saussure F: Cours de linguistique générale, Payot, Paris, 1969, p17.

32 خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، ط2، 2006، ص9.

33 شنان قويدر: المعنى والدلالة والإحالة في اللسانيات، حويلات الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، مجلد 5 ع11، ماي 2018، ص35.

34 يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص82.

35 نفس المرجع، ص47.

36 نفس المرجع، ص48.

37 الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص8.

38 نفس المرجع، ص9.

39 نفس المرجع والصفحة.

40 يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص54.

41 Searle: Expression and meaning, P36.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية

1. أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق سوريا، ط3، 2008.
2. الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1983 م.
3. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، ط2، 2006.
4. الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
5. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
6. عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتنيكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، المطبعة الرسمية، تونس، دط، دت مجلد XXXIX.
7. العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م.
8. الكفوي، أبو البقاء: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1998م.
9. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط4، 2004.
10. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط3، 1414 هـ.

ثانيا: المراجع المترجمة

11. جاك موشلار وآن روبول: التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.
12. دومينيك مانقينو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
13. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1987م.

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية

14. De Saussure F: Cours de linguistique générale, Payot, Paris, 1969.
15. Dominique Maingueneau: Pragmatique pour le Discours Littéraire, Bordas, Paris, 1990.
16. Mourris C.W: Foundations of theory of signs, in Neurath R.Carnap & Morris (eds), International Encyclopedia of unified science, Chigago, University of Chigago Press.
17. Paul Grice: Studies in the way of words, Harvard University Press, 1st Ed 1991.
18. Searle.J: Expression and meaning, Cambridge University Press, 1979.

رابعا: الرسائل الجامعية

19. الحاج براهيم: المنحى التداولي عند الأصوليين، الشاطبي أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2018.
20. رحمة شيتير: تداولية النص الشعري، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009.

خامسا: المقالات:

21. الحواس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، ملتي علم النص، ع12، 1997.
22. عبد الحلیم بن عيسى: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث، الجزائر، العدد1، ماي 2008.
23. شنان قويدر: المعنى والدلالة والإحالة في اللسانيات، حوليات الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، مجلد 5 ع11، ماي 2018.